

الفصل الثامن

إلماعة ختامية عن الإلياذة والأوديسا

(١) نماذج منهما

١ - من الإلياذة

تعهد أخيلوس للكهنة بالحماية

« لا تخش شيئاً أيها الكاهن وقل لنا ما تعرفه من الوحي لأنه - وأشهد على هذا أبولون العزيز على زوس ذلك الإله الذي تستلهمه أنت نفسك يا كذخاس حينما تكشف للداناووسيين إرادة الملاء الأعلى - لا أحد هنا مادمت أنا حياً ، ومادامت عيناى لم تعمضا ، لا أحد يجرؤ على أن يقدم إليك عنفاً في داخل هذا المعسكر ، لا أحدين جميع الداناووسيين^(١) ولو كان ذلك الذى ستسميه هو أجامنون الذى له فخر أن يكون رئيس الأكيان^(٢) » .

إهانة أخيلوس أجامنون

وكما تظهر تلك العظمة في هذه الحادثة هي كذلك تظهر عند ما يأخذ أجامنون في التعدى عليه فيبدو أول الأمر معتدلاً يتمسك بالعزة والكرامة ، ويكتفى بأن يلفت نظر أجامنون إلى ظلمه ، ولكن حينما يوجه إليه هذا الأخير التهديد ضمناً ينفجر غضبه الناشئ

(١) يطلق مؤلف الإلياذة على الهيلين تارة اسم الأكيان ، وأخرى اسم الأرجوسيين ، وثالثة اسم الداناووسيين ، لأن هذه الكلمات كلها تدل عنده على هذا الجنس الهليني دون إذعان إلى ما توجيه الدقة .
(٢) انظر رقم ٨٥ إلى ٩١ من الأنشودة الأولى من الإلياذة .

من الكبرياء أولاً ثم من شعوره بفقد ثمرة يمز عليه فقدّها ثانياً . وسنترجم لك هنا نموذجين لتصوير هذين النوعين من الغضب ، فمثال النوع الأول الناجم عن الكبرياء مايلي :

« أيها السكير الذي يشبه الكلب في مجونه ، والطيبة في جبينها ، إياك لن تجد في نفسك الشجاعة أبداً على أن تلبس درعك لكي تنزل إلى حومة الوغى تقاتل فيها الشعب المحارب ، ولا على متابعة الشجعان من الأكيان في مواجهة أخطار فخاخ الحروب ، لأنه يخيل إليك أن ذلك هو الموت بعينه ، نعم إن نهب مالدي من يعارضك في معسكر الأكيان الواسع هو أسهل عليك .

هذا حسن ، إلتهم إذاً شعبك أيها الملك التهاماً مادمت تحكم رجالا لا يساؤون شيئاً لأن إهانة اليوم - يابن أترينثوس - ستكون هي الأخيرة التي توجهها إلينا ، ولكني أؤكد لك وأقسم على ماؤوكده بقسم كبير أن الأسف على أن أخيلوس لم يدمعك سيلحق جميع أبناء الأكيان على بكرة أبيهم . وإذا ذاك ستحزن عبثاً ، ولن تستطيع أن تدأوى الألم حين يهوى عدد عظيم من الأكيان تحت ضربات هكتور سفك الحار بين ويومئذ ستقضم قلبك في صدرك مع الأسف على أن لم تقدر أشجع الأكيان جميعاً^(١) .

وأما النوع الناشئ عن فقد الثمرة إذعاناً للطغيان تحت تأثير ظروف قاهرة فمثاله مايلي :

« إنما من أجلك أيها الرجل الذي خلع العذار ، نعم من أجلك نحن هنا لكي نرضيك ، إنه الانتقام لمينيلائوس ، الانتقام لك أيها الوقح ، ذلك الذي نبغيه من الترواديين ، وها أنتذا ليس عندك في هذا تفكير ولا به انشغال . وينبغي أن تهددني بأن تنزع مني أنت نفسك مكافأة تجشمت من أجلها عناء عظيماً ثم قدمها أبناء الأكيان إليّ . ليست غنائمنا متساوية حينما يهدم جنودنا مدينة ثرية من مدن تروادة ، فذراعى هي التي تقوم بأشق مهام الحرب العجوج ، ولكن عند مايجيء دور الاقتسام ، فإليك ترجع أعظم المكافآت ، وإلى أنا أضعف الغنائم ، ومع ذلك فأنا أنمك بها^(٢) . »

(١) انظر الأنشودة الأولى من ٢٢٥ إلى ٢٤٤ .

(٢) انظر رقم ١٥٢ ومابعده من الأنشودة الأولى من الإلياذة .

بهر الترواديين بحسن هيلينيه

« من المؤكد أنه لا موضع للثورة إذا كان الترواديون والأكيان يعانون كل هذه الآلام منذ ذلك الوقت الطويل من أجل امرأة كهذه لأن وجهها شبيه بوجه إلهة^(١) ». .
فإذا كانت هذه العبارات التي بلغت من الإعجاب بجمال هيلينيه هذا الحد قد صدرت عن الشيوخ فكيف بالشباب ؟ ! لا ريب أنه إذا لم يحها فقد وعيه وخائته قوته .

أسف هيلينيه

أما بعد تصوير هذا الحسن ، فأهم ما نستشفه من الإلياذة عن هيلينيه هو إحساسها بالضجر والسامة والشقاء لما سببته للفريقين المتحاربين من كوارث ونكبات ، وتمنيها أن لم تكن قد وجدت في الحياة ، أو كانت قد هلكت طفلة ، وشعورها بوضاعة باريس وانحطاطه . وهالك نموذجاً من حديثها عن هذه الأحاسيس مخاطبة هكتور .

« هكتور ، أية أخت تجدها في ! إنني امرأة جريئة مسيئة مشتومة . آه ! . لماذا لم تقذف بي زوبعة مرعبة يوم ولدتي أمي إلى أقصى الجبل أو بين أمواج البحر الهائج ؟ لماذا لم يتلعنى اليم قبل أن يحدث كل هذا ؟ ! أو على الأقل - مادام الآلهة قد صمموا على غير ذلك - لماذا لم يمنحوني أن أكون زوجة لرجل شجاع يعرف كيف يغضب ويشعر بالإهانة ، أما هذا فليس لديه أية إرادة لا الآن ولا إلى الأبد ، وإن ضعفه سبب له أكثر من معرة . هلم ادخل عندنا أيها الأخ واجلس على هذا المقعد ، لأنك ستتألم كثيراً بسببي أنا القعسة ، وبسبب غلطة باريس . إن زوس قد قضى علينا بحظ محزن لكي نكون في المستقبل موضوع الأناشيد بين الأناسي^(٢) » .

(١) انظر رقم ١٥٦ وما بعده من الأنشودة الثالثة .

(٢) انظر رقم ٣٤٤ وما بعده من الأنشودة السادسة .

هناك عاطفة أخرى نلاحظها بارزة عند هيلينيه وهي محبتها لـ « هكتور » وحنانها عليه وحرزها لموته . وسنرسم لك فيما بعد عبراتها التي سكتها ملتهبة على جثته .

توسلات أندروماخيه إلى هكتور

« هكتور أيها المحبوب إن حماستك ستقضى عليك ، وليس عندك رحمة بابنك الذي لا يزال أخرس ، ولا بى أنا النعسة التي سأكون عما قريب أيما ، وإن الأكيان سيقتلونك عندما يقذفون بأنفسهم عليك ويكونون جميعاً ضدك . آه ! إن من الخير لى إذا فقدتك أن أكون تحت الثرى ، لأنه متى لطمك القدر فلن يكون لى عزاء من بعدك ، ولن يكون لى شيء إلا الألم ! . إن والدى ووالدى الجليلين قد ماتا ولكنك أنت يا هكتور لى أب وأم محبوبة وأخ ، وأنت زوجى الزاهر الشباب . أشفق علينا وامكث هنا فوق هذا البرج ولا تصير ابنك يتيماً وزوجك أيما^(١) » .

غير أن هذا الألم العنيف الذى يفيض من قلبها على وجهها ، ويترجمه لسانها فى أسلوب من الذعر والالتياح لا يمحو من مظاهرها ذلك السمو الذى يزيد رشاقتها فتنة ، وجمالها سحراً . فمثلاً حين ينقض على مسممها نبأ قتل زوجها انقضا الصاعقة تخر مغمى عليها فوق سور الحصن دون أن تبدو منها تلك الإشارات التي تظهر الطبقات الدنيا بوساطتها ما تشعر به من حزن وألم .

أمنية هكتور لابنه الطفل

قبل هكتور طفله العزيز ومعه فوق يديه ودعا له لدى زوس والآلهة الآخرين بهذا الدعاء :

« يا زوس ويا أيها الآلهة الآخرون اعملوا على أن يكون ابنى - كما أنا الآن - ماجداً

(١) أنظر رقم ٤٠٧ وما بعده من الأنشودة السادسة .

بين الترواديين ، قديراً شجاعاً مثلى ، وعلى أن يملك بقوة على مدينة « إليوس » وأن يقال عنه يوماً وهو فى إحدى رجعاته من القتال : إنه ليفوق والده ، وأن يحمل أسلاب قتلاه تقطر منها الدماء ، وأن تتمتع به والدته تمتعاً نفسياً^(١) .

حقّد أخيلوس على هكتور

إذا نظرنا إلى أخلاق أخيلوس التى استعملها مع السفراء فى الأنشودة التاسعة ألفيناها هى عينها التى ظهرت فى الأنشودة الأولى : بدياً وجه بشوش ، واستقبال كريم ، وحسن ذوق ، ورقة طبع على أن لا يتجاوز أولئك الضيوف حد الزيارة البريئة ، فإذا بداوا يفاوضونه فى الصلح عاد غضبه عليهم ، ووجه إليهم سهام نقده وتعنيفه على صمتهم أمام حيف مليكهم الشره .

وإذا جاوزنا هاتين الأنشودتين إلى الأنشودة الثانية والعشرين ألفينا هذا البطل كما هو ثائراً خاضعاً للعاطفة والهوى خضوعاً تاماً ، ووجدنا شعور الانتقام لصديقه يملك عليه كل أحاسيسه بعد أن محامنها كل أثر لغضبه الأول الذى كان قبل هذه الحادثة يستعبده تمام الاستعباد . والآن إليك نموذجاً مما يوجهه إلى قاتل صديقه : « هكتور لا تحدثنى عن العهود المتبادلة بيننا ، فليس بين الوحوش الضارية وبنى الإنسان موثيق ، وليس بين الذئاب والحلّان تفاهم أو اتفاق ، وإنما الذى يوجد بين هذه الأنواع هو المقت والمقت دائماً ، وكذلك بينى وبينك لا توجد صداقة ولا عهد ، إذ ينبغى أن يموت أحدهما وأن يرتوى من دمه أريس إله الحرب العنيد ، فهلم استجمع كل قواك ، وهات أعظم ما لديك من مقدرة ، لأن هذه الساعة هى أنسب الساعات لإجادة استعمال الحربة وإتقان القتال . إنه لم تعد لديك فرصة ممكنة للفرار من بين يدى ، فبلاس أثنييه ستخضعك لسيفى ، وستدفع مرة واحدة حدّاد جميع أصدقائى الذين ذبّحتهم بيدك^(٢) » .

(١) أنظر الأنشودة السادسة من رقم ٤٦٦ إلى ٤٨٤ .

(٢) أنظر رقم ٢٦١ وما بعده من الأنشودة الثانية والعشرين .

توسلات برياموس إلى أخيلوس

« فكر في أيك يا أخيلوس الشبيه بالآلهة ، في أيك الذى وصل مثلى إلى نهاية الشيخوخة المقدرة ، فمن الممكن أن يكون جيرانه الذين هم حوله يعذبونه الآن ، وليس لديه أحد يحميه من الخراب أو الموت ، ولكنه هو على الأقل حين يعلم أنك حتى يستمتع في قلبه ، بل يؤمل في كل يوم أن يرى ابنه العزيز عائداً من تروادة ، أما أنا التمس فبعد أن أنجبت أبناء شجعاناً حقاً لن يبقى لى منهم واحد ، لقد كانوا خمسين حين جاء أبناء الأكيان ، منهم تسعة عشر من أم واحدة وهى « هيكوبيه » الملكة ، والآخرون ولدوا من حظايا القصر ، وأكثريه هؤلاء الأبناء ثنوا ركبهم تحت مجهود أريس القوى الحاد ، وذلك الذى كان يشغل موضع الجميع - لأنه كان يحمى المدينة ويحمينا جميعاً وهو هكتور - قتلته أنت حين كان يحارب دفاعاً عن بلاده ، ولأجله وحده جئت الآن إلى حرم السفن الأكيانية أريد أن أفديه ، وقد أحضرت لهذا فداء جد عظيم ، فاحترم الآلهة يا أخيلوس ، وأشفق على مفكراً فى أيك ، فانا أكثر منه استحقاقاً للشفقة . أنا الذى استطعت أن أفعل ما لم يفعله أى مخلوق على الأرض ، وهو أن أمد إلى الفارس الذى قتل ابنى يداً ضارعة »^(١) .

دموع هيلينيه على هكتور :

« هكتور : أنت الذى كنت عزيزاً على من بين أشقاء زوجى . إننى زوجة ألكسندر باريس الخارج من أصلاب الآلهة لأنه هو الذى أتى بى إلى تروادة ، لماذا لم أمت قبل هذا ؟ ها هى ذى السنة العشرون منذ غادرت بلادى وفى كل هذا الزمن لم أسمع منك قط كلمة جارحة أو نائية ، بل بالعكس كلما كلمنى كائن من كان فى القصر

(١) انظر الأنشودة الرابعة والعشرين من رقم ٤٨٦ إلى ٥٠٦ .

بجفاف أيا كان شأنه فإنك كنت تؤنبه سواء أكان أحد أخوة زوجي أم إحدى نساءهم
أم إحدى شقيقاتك أم والددة زوجي لأن برياموس كان دائماً إلى كوالد حنون ، وكنت تحميني
بخبريتك ، وتواسيني بكلامك العذب . فلأجل هذا أنا أبكي عليك وعلى نفسي ،
والقلب مغمم بحزن مرير ، لأنه لم يعد لي في تروادة الواسعة أحد وديع وخير كما كنت ،
بل إنني ممقوتة من الجميع »^(١) .

٢ - من الأوديسا

أوديسوس متجهاً إلى نوسيكّا :

« أتوسل إليك أيتها الملكة سواء أكنت إلهة أم فانية ، فإذا كنت إلهة من
قاطنات السماء الواسعة فإنما يبدو لي أنك أرتيميس بنة زوس العظيم ، إذ أنك تشبهينها في
الجمال والقوام والرشاقة . وإذا كنت إحدى الفانيات الثاويات على الأرض فقد سعد بك
والدك ووالدتك الجليلة وإخوتك ثلاث مرات . . . ولكن أسعد الجميع قلباً هو ذلك
الذي يغمرك بهدايا الزواج ثم تزفين إلى داره . حقاً إن عيني لم تريا قط إنساناً أو إنسانة
تماثلك في الجمال . . . ومن ثم أنا معجب بك أيتها الغانية غاية الإعجاب ، ولا يسعني إلا
أن أقف أمام جمالك ذاهلاً مشدوها وأن أضطرب عندما أنشبت بقدميك متوسلاً
متضرعاً ، وما ذلك إلا لأني فريسة لألم عظيم ، فأمس وأمس فقط نجوت من البحر المظلم
بعد أن قاسيت عشرين يوماً . . . وها هو ذا أحد الآلهة قد قذف بي إلى هنا لكي أحتمل
آلاماً أخرى لأنتى لا أعتقد أنى شاهدت نهاية الألم ، ولا أشك في أن الآلهة سيستأنفون
إرهاق بآلام جديدة ، ولكن أنت أيتها الملكة أشفقي علىّ إذ أنك أنت أولى من
اتجهت نحوهم بعد أن عانيت كل هذه البأساء وأنى لا أعرف أى واحد من سكان هذه
البلاد . دلينى على المدينة واثنين ببضع خرق لأستتر بها إذا كان لديك شيء مما تلفين فيه

(١) انظر رقم ٧٦٢ وما بعده من الأنشودة الرابعة والعشرين .

الملابس ، وإنى أسأل الآلهة أن تمنحك كل ما يشتهي قلبك أى أن تمنحك زوجاً ومنزلاً ، وأن تضم إليهما الوفاق والوئام ، لأنه لا يوجد يقيناً شئ أفضل ولا أدعى إلى السرور من الثنّام عواطف الزوجين فى إدارة منزلها ، ففى ذلك هناء لهما ولأصدقائهما ، وحزن وغم لحسادهما «^(١) .

بين أوديسوس وشبح أخيلوس :

لم تكن الإلياذة بالحديث عن مقر الموتى أو بتصوير مملكة الجحيم ، وإنما عنيت بذلك الأوديسا عناية تلفت النظر ، فصورت لنا أوديسوس وقد ذهب إليها والتقى فيها برفاقه ووالدته وجعل يحدثهم ويرد على ما يعرف من أسئلتهم بالإيجاب وعلى ما يجمل منها بالسلب ويستمع إلى شكائاتهم وتآوهاتهم ، وإليك شيئاً من هذه التآوهات :

« لا تحدثنى عن الموت يا أوديسوس الماجد ، فأنا كنت أفضل أن أكون حراثاً وأن أعمل بأجر عند رجل فقير لا يكاد يملك قوتاً على أن آمر جميع الموتى الذين لم يعودوا فى الوجود ، ولكن حدثنى عن ابنى الساطع هل يقاتل فى الصف الأول أولاً ؟ . قل لى ما علمته عن بيلوس والذى لا عيب فيه هل لا يزال مستحوداً على نفس الإجلال بين « المرّميدون » أو أنهم يحتقرونه فى « هيلّاس » لأن يديه ورجليه قد أصبحت مغلولة بوئاق الشيخوخة . فى الواقع أنتى لم أعد موجوداً هنالك لأدافع عنه تحت ضوء الشمس كما كنت فى الماضى أمام ترودة العظيمة حينما كنت أقهر أعظم الشجعان وأنا أقاتل فى صف الأكيان »^(٢) .

(١) انظر الأنشودة السادسة من رقم ١٤٨ إلى رقم ١٨٥ .

(٢) انظر الأنشودة الحادية عشرة .

بين أوديسوس وشبح والدته :

ومن هذه المناظر المؤثرة منظر أوديسوس وهو يحاول معاينة والدته فلا يستطيع ذلك فينجبها بهذه العبارات :

« تكلمت والدتي ، فأردت منفعلاً مضطرباً في نفسي أن أعانق روحها ، فألقيت بذاتي عليها ثلاث مرات ، وفي هذه المرات الثلاث كانت تتمحى كأنها ظل شبيه بالحلم ، فما في قلبي ألم حاد وقلت لها هذه الكلمات العاجلة :

أماء ! لماذا لا تنتظريني حين أشتى أن أعانقك ؟ فلو أننا استطعنا أن نتعانق لهجرت قلوبنا الحزن حتى عند « أديس ^(١) » . أأست إلا خيلاً خلقت لي « پرسيفنیا ^(٢) » لأجل أن تزيد في تأوّهاتي ؟ . . .

هكذا تكلمت فأجابتنى والدتي بقولها :

« أسفاً يا بني يا أشقى بني الإنسان إن پرسيفنیا بنته زوس لا تهزأ بك ، ولكن هذا هو قانون الفانين حينما يموتون ، ففي الواقع أن الأعصاب لم تعد تسند اللحم ولا العظم ، وأن الروح تطير كأنها حلم فارجع سريعاً إلى نور الأحياء واذكر دائماً الأشياء التي قلتها لك ^(٣) » .

كيف تروى بينيلبيا قصتها للغتسول :

« أيها الأجنبي ، من المحقق أن الآلهة سلبوني جمالي وميزتي منذ ذلك اليوم الذي ارتحل فيه الأرجوسيون إلى مدينة « إليوس » ومعهم زوجي أوديسوس ، لو أنه يعود

(١) أديس هو إله الجحيم وشقيق زوس .

(٢) پرسيفنیا هي زوجة أديس وهي من البشر وقد كاف بها أديس واختطفها ولها أسطورة شقيقة سنمر بها في حينها .

(٣) انظر الأندودة الحادية عشرة .

ويحكم حياتي ليكونن مجدى أعظم وأجل ، ولكنى الآن أتأوه لأن شيطاناً خبيثاً يرهقنى بالآلام . هاهم أولاء الذين يحكمون فى الجزر المجاورة : « ساميه » و « ناكنتوس » المغطاة بالغابات ، و « دوللكيوس » وهؤلاء الذين يقيمون فى إيثار كيه الباردة المناخ نفسها ، كل أولئك وهؤلاء جميعاً يطلبون يدى رغم أننى ويخربون منزلى ولكننى أسفة على أوديسوس ، وأتأوه فى داخل قلبى ، وهؤلاء الأدعياء يستعجلون عرسى ، وأنا أبتدع لهم الحيل . فى مبدأ الأمر ألهمنى أحد الآلهة أن أنسج قماشاً عريضاً دقيقاً وأن أقول لهم على الفور :

« أيها الشبان مادام أن أوديسوس الإلهى قد مات فأقلعوا عن استعجالكم عرسى إلى أن أتم هذا الكفن الذى أصنعه للبطل « لا إرتيس » حينما ينزل به الموت الذى لا يرق حتى لا تستطيع أية امرأة أكيانية أن تأخذ على أمام الشعب أن رجلاً كهذا كان يملك كل هذه الثروة قد دفن بدون كفن . هكذا قلت لهم فاقنعت قلوبهم الساذجة بما قلت . وبناء على هذا كفت أنسج أثناء النهار فى هذا القماش ، فإذا جن الليل نقضت على ضوء المشعل ما نسجته ، وهكذا أخفيت حيلتى وخذعت الأكيان ثلاث سنين ، ولكن فى السنة الرابعة نبهتهم خادماى ففاجئونى وهددوني ، ورغم إرادتى اضطرت إلى إتمام القماش . والآن لم أعد أستطيع تجنب العرس حيث لا أجد بعد أية حيلة ، وأهلى يدفعوننى إلى الزواج ، وابنى يحتمل بتضايق أن يلتهم أولئك الأدعياء ثروته التى يتمسك بها لأنه اليوم رجل ويستطيع أن يعنى بمنزله ، وزوس قد منحه المجد » ^(١) .

انتقام أوديسوس

« وكان الأدعياء يحسبون أن أوديسوس قد أصاب أنتينوس على غير قصد منه » ولا إرادة ، ولم يكن أولئك المأفونون قد تنبهوا إلى أنهم قد ههوا جميعاً فى قبضة الموت ، وحينئذ وجه إليهم أوديسوس الماهر نظرة وحشية وصرخ فيهم قائلاً « أيها الكلاب إنكم

لم تكونوا تتصورون أنى سأعود يوماً من بلاد الترواديين إلى داري مادتم قد عكفتم على تخريب منزلى وعلى الاعتداء على خادماى بالعنف ، وجعلتم تطلبون يد زوجتى وأنا لا أزال على قيد الحياة دون أن ترهبوا انتقام الآلهة الذين يقطنون السماء الواسعة أو أن تحسبوا حساباً للوم الأجيال الآتية من بنى الإنسان ، والآن قد سقطتم جميعاً فى أحبولة الموت » .

وبينما كان أوديسوس ينطق بهذه العبارات شعر الأدعياء بالفرح يستولى على قلوبهم وأخذ كل واحد منهم ينظر مرتاعاً إلى ماحوله منقباً عن ثغرة يقر منها ليتجنب ذلك المصير الأسود المشئوم ^(١) !

(ب) مصير الإلياذة والأوديسا

لم تكدهاتان الجوهرتان تمان حتى أخذ الشعراء المتجولون ينشدونهما ويتغنون بهما فى كل مكان فتستقبلهما جميع المدن الهيلينية فى سرور وحفاوة ، ولكن مدينة أثينا قد بلغت فى تقديرهما مبلغاً لم تبلغه مدينة أخرى ، إذ وصلت عنايتها بهما إلى حد أن وضع سولون أحد الحكماء السبعة قاعدة تكفل صحة تلاوتهما . وفى نهاية القرن السادس قبل المسيح أعلن الأثينيون النصوص الرسمية لهاتين الفريدين لكي لا يفقد منهما شئ ولا يمتزج بهما دخيل .

وفى القرن الرابع ألف أرسطو لهما شرحاً قياً ولكنه فقد ، وفى القرن الثالث اشتغل أكابر النحويين فى الاسكندرية بتقسيم كل واحدة منهما إلى أربع وعشرين أنشودة - كما أشرنا إلى ذلك آنفاً - ليسهل فهمهما وحفظهما والاستفادة منهما . وفوق ذلك فقد كتبوا عليهما شروحاً وتعليقات وملاحظات ، ونقدوا مواضع الضعف فيهما ونصوا على القطع التى هى فى رأيهم ليست لهوميروس . وقد بقيت بعض هذه الملاحظات إلى الآن ، إذ كشف العالم الفرنسى « فلوازون » فى مدينة البندقية نسخة من الإلياذة عليها شرح وتعليقات لأحد أولئك العلماء .

(١) انظر الأنشودة الثانية والعشرين من رقم ٣٠ إلى ٤٥ .

وفي القرن الثاني عشر بعد المسيح كتب العالمان الإغريقيان « تريتيزيس » و « استاثوس » - وهو أسقف مقاطعة « تيسالي » - شرحين جليلين أولهما للإلياذة وحدها ، وثانيهما للإلياذة والأوديسا معاً .

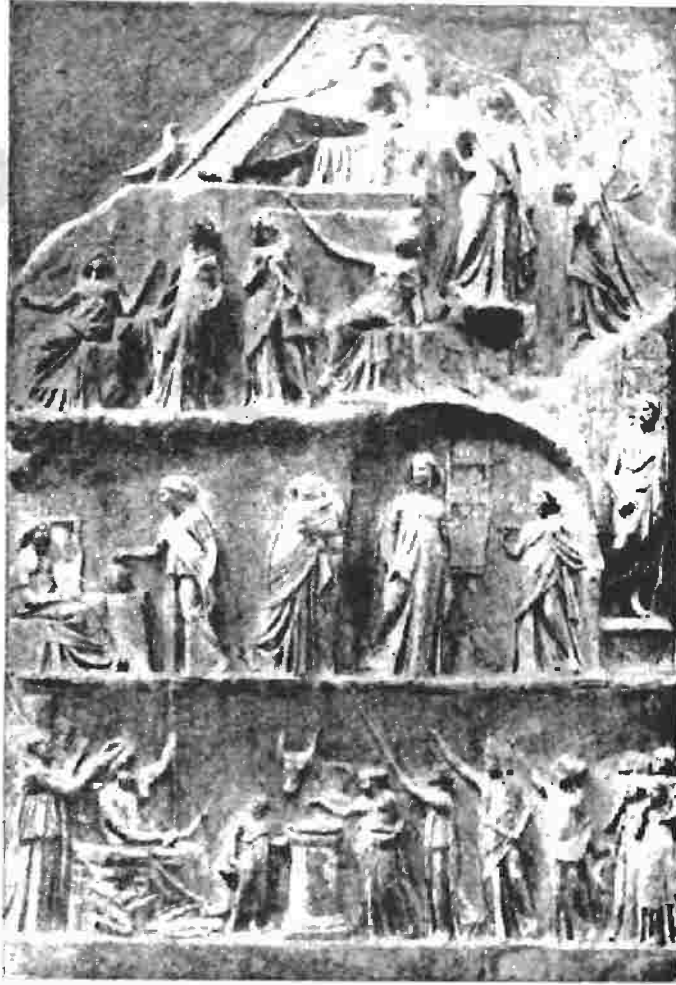
وفي القرن السادس عشر بدأت عناصر الشك في نسبة هاتين الدرتين إلى هوميروس تنسرب إلى الأذهان وأخذ الجدل إن حقاً وإن باطلاً يحتم حول تكونهما كما أبنا ذلك في مواضعه .

وينبغي أن نعلن هنا أن هذا الجدل لم يكن عبثاً ، لأن الفكر البشري يستفيد دائماً من النقاش ، إذ هو الذى يدفع المتجادلين إلى الدراسة العميقة . لهذا كانت نسبة هاتين القصيدتين إلى هوميروس أو إلى غيره من المشاكل الأدبية التى أفادت الحركة العقلية فائدة لا يحدها أحد من المثقفين .

تأثيرهما في العالمين القديم والحديث

قد لا يكون من المغالاة أن نعلن أن جميع العصور التى تلت عصر الإلياذة والأوديسا فى العالم القديم قد استلهمت جانباً عظيماً مما أنتجته من جمال ودقة وفن من هاتين القصيدتين ، إذ منهما اقتطع المغنون فى العصر الموسيقى أغانيهم الفاتنة وأناشيدهم الساحرة ، ومنهما استلهم هيرودوتوس فكرة وضع التاريخ على النحو الذى وضعه عليه ، ومنهما ماغترف « إسخيلوس » و « سوفكليس » و « أوريبيديس » أصول كثير من مآسيهم الخالدة ، وعناصر مسرحياتهم القيمة ، ومنهما استوحى الفنانون كل مارسموه ونحتوه من صور وتمائيل خالدة على الدهر ، بل حدثنا التاريخ أن فدياس أكبر فناني العصر الأثيني مدين بتمثاله المتقن الفنان الذى صنعه لزوس ، لبیت واحد من أبيات الإلياذة ، وبالإجمال : إن كثيراً من « الميتولوجيا » والمعلومات السياسية والاجتماعية الإغريقية مستقى من هاتين الخريدين ، ولهذا قال أفلاطون فى الجمهورية : « إن هوميروس هو معلم الهيلين ^(١) » .

فإذا ثبت هذا عن ثأني أجلاء فلاسفة الإغريق ، فلا أحسب أنه قد بقي بعد ذلك مجال للشك في قوة أثر هاتين القصيدتين في العقلية والفن والآداب الهيلينية في العصرين :
الدرياني والأثيني ، وليس أدل على ذلك من تقديس هوميروس كأحد الآلهة .



[الصورة رقم ١٧ هي رسم بارز من عمل الفنان أرخيلأؤوس البريثنى ، وقد عثر عليها في إيتاليا الجنوبية ، ويرى في أسفل الصورة عدد من بني الإنسان يهتفون باسم هوميروس ويقدمون إليه الضحية على نحو ما كانوا يصنعون لألهتهم ، ويبدو منظر الضحية أمام المذبح المقدس ، كما تشاهد إلهة الشهرة وهي تضع تاجاً على رأس الشاعر ذي الشعر الأبيض ، وفي أعلى الصورة ترى عرائس الشعر في صفين عند قمة جبل البرناسوس وفي يد إحداهن مزهر .]

أما العصر الاسكندري فقدم بك انشغال العلماء والمدارس فيه بهاتين الدرتين. وأما العصر لروماني فسنوجز لك رأي أحد أدبائه في مؤلف الإلياذة والأوديسا، لنضع بين يديك صورة من

آرائهم فيه ، وهاك هذا رأى : « إن هوميروس هو الأول والوسط والنهاية لكل طفل وشاب وشيخ ، لأنه يعطى من أعماق عبقريته لكل واحد منهم الغذاء الذى هو فى حاجة إليه » .

أما فى عصر النهضة فلم تكد الحركة الأدبية تنتعش وتنشط من عقابها حتى هب المتأدبون يترجمون المؤلفات الإغريقية وبينها درتا هوميروس فنجم عن ذلك أن تغالغلتا إلى جميع اللغات الحية ، وترجمتا إلى كل لغة منها عدة ترجمات بعضها سطحي وبعضها عميق نوعاً ما .

ولما ارتقت الثقافة فى العصور الحديثة وأتقن الأدباء اللغة الإغريقية راجعوا الترجمات الأولى ووازنوا بينها وبين الأصل فتبين لهم مافيه من أخطاء حملتهم على الحكم بعدم كفايتها ووجوب القيام بغيرها أدق منها فوضعوا ترجمات أخرى بعضها شعر وبعضها نثر . فمن ذلك فى فرنسا مثلاً أن الأستاذ « سنت هيلر » قد ترجم الإلياذة فى شعر فائن جذاب ، وأن « الكنت دى ليل » قد ترجم القصيدتين فى نثر أمين دقيق ، وأسلوب رصين رشيق . وهذا عدا ترجمات أخرى صنعت لطلاب المدارس ولم يوقع عليها أصحابها ، وهى قيمة دقيقة رغم عدم تذييلها بتوقيعات مشهورة .

أما أثرها فهو يحل عن الوصف ويدق عن التصوير ، وبالإيجاز : كل شاب لم يتأدب بالأدب الهيلينى عامة وبالإلياذة والأوديسا خاصة يعتبر فى الدول المعنية بالأدب ناقص الثقافة ، قاصر التهذب ، وفى نظر الأدباء المتخصصين يعتبر نصف أئى . ويرى هؤلاء العلماء المحدثون أن كل دراسة للأدب الهيلينى المؤلفة فى العصور التى تلت عصر هوميروس غير ممكنة بدون دراسة منتجات هذا الشاعر ، لأن هذه المنتجات هى أساس كل تلك الثروة الهائلة . وفى هذا يقول الأستاذ « هنرى وي » : « إن هوميروس هو أبو اللغة الإغريقية ، فمن الخير لمن أراد دراسة هذه اللغة أن يحفظ مؤلفاته عن ظهر قلب ، لى يفهم جيداً كل المؤلفين الذين كتبوا بتلك اللغة » .